لكتبتي ٢٤

رِحْلَةُ الخُلُودِ

فاضلي

بقلم : هشام الصياد
رسوم : أحمد عبد النعيم

دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ شارع كورنيش النيل – القاهرة – (ج . م . ع.)

إعداد الماكيت : أمانى والى

(عمادٌ) فَتًى ذكىٌّ فى مِثْل عُمْرِكَ تقريبًا، علـى دَرَجَـةٍ عَاليَـةٍ مِـنَ الثَّقافـةِ والاطِّلاعِ، دائمُ التَّرَدُّدِ على المكْتباتِ العامةِ ليَزيدَ حَصِيلتَهُ الثقافِيةَ اتباعًا لشِـعَار «القراءةُ للجميع» الذى سَعِدنَا به جميعًا، وضَاعفَ من ثقافَتِنا واطلاعِنا..

وفى صبَاحِ أحَدِ الأيَّامِ استَيْقظَ (عمادٌ) مُبكرًا كعَادتهِ، وراحَ يطالعُ الصُّحفَ اليوميةَ والمجلاتِ باهتمام شدِيدٍ ونَهَمٍ بَالِغٍ حتى استَوْقَفَهُ خبرٌ صغيرٌ يحْكِي عَن العالم الألمانى الشهير [ألبرت أينشتين] الذى وُلد عام ١٨٧٩ ميلاديـةً وحَصَـلَ على جائزةِ نوبل عام ١٩٢١ ميلاديـة، وكَـانَ الخـبرُ يقُـولُ: إنَّ بعـضَ العلمـاءِ حَصَلُوا على مُخِّ (أينشتين) بعدَ وَفاتِه، وقامُوا بعَمَل دراسَاتٍ عليْهِ ليحصُلُوا على المعلوماتِ الغزيرةِ التى كان يَعْرِفُهَا ذلك العالمُ الكبـيرُ، ولكنـهم وَجـدُوا أنَّ مُـخَّ (أينشتين) مثلُ مخِ أىّ شخصٍ عادِيٍ..

وتعجَّبَ (عمادٌ) من ذلك الخبرِ ورَدَّدَ محدثًا نفسَه:

– ربما أن المعلوماتِ التى يَحْويها المخُّ تنتهى بوفاةِ الشَّخص، ويصْبحُ المخُّ مُعَطَّلاً تمامًا.

وفى هَذِه اللَّحظةِ دَخَلَ والدُه وألْقَى عليه تَحيةَ الصَّباحِ ثـم سَـألَه عـن سِـر انْهمَاكِه فى قراءةِ جَرائدِ اليوم فقصَّ علَيْه (عمادٌ) ما قَرأه، وهنا قـالَ الأبُ فـى جِديَّـةٍ تامَّـةٍ: هـذا الخـبرُ صحيـحٌ يـا بُنَـى فلقـد ظـنَّ بَعْـضُ العلمـاءِ أنّ مـخَّ (أينشتين) سيظلُّ محتَفِظًا بمعْلُوماتِه حتى بعدَ وَفاتِه.

صَـاحَ (عِمَـادٌ) فـى شَـغفٍ شـديدٍ قَـائِلاً: أرجُـو أنْ تُحدِثَنِـى عـن (ألـبرت أينشتين) يا أبى، فأنا أريدُ أنْ أعْرِفَ كلَّ شَـىءٍ عَـنْ هـذا العـالمِ الكبـيرِ، عـن اختراعَاتِه، وأبْحاثِه، وآرائِهِ..

أوْمَأ الأبُ برأسِه علامةَ الإيجـابِ قَبل أن يُجيبَهُ بقوله: حسنًا يا بُنَىَّ، قَالَ هذه العبارةَ وصَمتَ بُرهةً ثم استطرَدَ قائلاً:

– وُلِدِ العالمُ الألمانيُّ الكبيرُ [ألبرت أينشتين] عام ١٨٧٩م، والتحقَ بأكاديميةِ العلومِ التِّقنيةِ، وتخصَّصَ فى الطَّبيعةِ والرياضةِ، وأعْلَنَ نظريَّةَ «النِّسبيةَ الخاصةَ» حيثُ ذكَرَ أنَّ قوانينَ الكونِ واحدةٌ لكلِّ الأجسامِ التى تتحركُ حركةً منتظمةً.

أنْهى جملتَهُ وَسَط اهتمامِ (عمادٍ) وشغَفِهِ ثم أرْدفَ يقولُ فى جدّيةٍ تامةٍ: وهو صَاحبُ الأبحاث المشهُورةِ عن «الذرَّةِ» والتى استغلَّهَا البعضُ استغلالاً سيئًا ونتجَ عنهَا الحُرُوبُ والدمارُ مما أحَزنَهُ كثيرًا، وبَدأ بعدَ ذلك يبحثُ فى مشروعٍ عجيبٍ للغاية.

سألَهُ (عمادٌ) فى لهفةٍ: أىُّ مشروعٍ يا أبى ؟

أجابَه والدهُ بقولِه: المشروعُ هو «آلةُ الزمن».

رفعَ (عمادٌ) حاجِبَيْه فى دهشَةٍ وهو يتَساءلُ فى ذُهول «آلةُ الزمن»؟!

أوْمَأ الأبُ برَأسِه قائلاً: نعم.. «آلةُ الزمنِ» حيث يستطيعُ الإنسانُ عن طريقِ هذه الآلةِ السفرَ إلى الزمنِ الماضى أو المستقبل.

قالَ هذه العبارةَ وصَمَتَ بُرهةً ليزدَردَ لُعابَه، ثم عادَ يقولُ وَسَط تضاعُف اهتمامِ (عمادٍ) بالموضوع:

– وقَدْ أعلنَ (أينشتين) أنه نجحَ فى أبحاثِه واستطاع أن يُرسِلَ فأرَةً إلى المستقبل وعادتْ بعدَ خمس دقائقَ ومازالتْ تَحيَا بصحةٍ جيدةٍ، ولكنه رفضَ فى عِنَادٍ الإفصاحَ عن سرِّ المعَادَلةِ للرئيس الأمريكى (روزفلت) أو لأىِّ مخلوقٍ آخَرَ.

سَأله (عمادٌ) عَلى الفوْر: لماذا يَا أبى؟

أجابَهُ الأبُ بقولِه: حتى لا يتمَّ استخدامُ «آلة الزمنِ» بطريقةٍ شريرةٍ كما حَدثَ معَ أبحاثِه حَوْلَ «الذرةِ».

وهنا ردَّدَ (عمادٌ) فى خُفُوتٍ: «آلةُ الزمنِ» ؟؟!!!

قالَ هذه العِبارةَ ثم اسْتْطَردَ فى حَماسٍ قَائِلاً:

– إذا استطعْتُ الحصولَ على هـذِه الآلـةِ يمكننـىُ الانتقـالُ مـن عصـرٍ إلى آخرَ، وأحْيَا فى مِئاتِ الأزْمنةِ، وأنْعمُ بالخلودِ.

قَطَّب الأبُ حاجِبَيْهِ فى شكٍّ قائلاً: الخلودُ؟!

أجابَهُ (عمادٌ) فى ثقةٍ: نعم.. الخلودُ فلوْلاَ وفاةُ (أينشتين) لظلَّ عقْلهُ يَعملُ بلاَ توقفٍ وينبضُ بمئاتِ المعلومَاتِ.

هتفَ الأبُ فى استنْكَارٍ: لا تَنطقْ بهذَا القولِ يا بُنَىَّ فالخلودُ للّه عزّ وجَلَّ وحْدَه.

هَـمَّ (عمـادٌ) بـأنْ يقـولَ شـيئًا ولكنَّـه لاحـظَ غضَـبَ والـده وثورَتَـه فـآثَرَ الصمْتَ.. ونهضَ الأبُ مِن مَجْلسِه واستأذَنَ فى الانصرافِ تاركًـا (عمـاد) الـذى استرخىَ فوقَ مِقعدِه، وأغمضَ عيْنيه وَرَاحَ يتخيلُ نفسَه يعيشُ فى عِـدَّةِ عُصـور مُختلفةٍ ويسافِرُ عبرَ الزمنِ وينعمُ بالخلودِ..

سمعَ صَوتًا صادِرًا من حَديقةِ المنزل، كَانَ صوتًا يُشبهُ الأزيزَ المتَقطِّع، فتـحَ عيَنيْه على الفَور، ولاَحظَ وجودَ بعضِ الأنوار الصادرةِ من النافذِة والتى تضـىءُ وتَخْفِتُ تدريجيًّا، وفى سرعةٍ شديدةٍ غادرَ (عمادٌ) الحجرةَ واتَّجه فى خطـواتٍ واسعةٍ مُتلاحقةٍ نحوَ حَديقةِ المنزلِ..

وفجأة اتسعتُ عينَـاه فـى ذُهـول ودهشـةٍ حـينَ رأىَ أمامَـهُ وَسَـطَ نباتـاتِ وأشجار الحديقةِ جـهازًا ضَخْمًـا يشـبهُ الصـاروخَ وراحَ يتـألقُ بـأضواءٍ فُسْـفُوريَّةٍ وبُرتقاليةٍ مُتتابعةٍ..

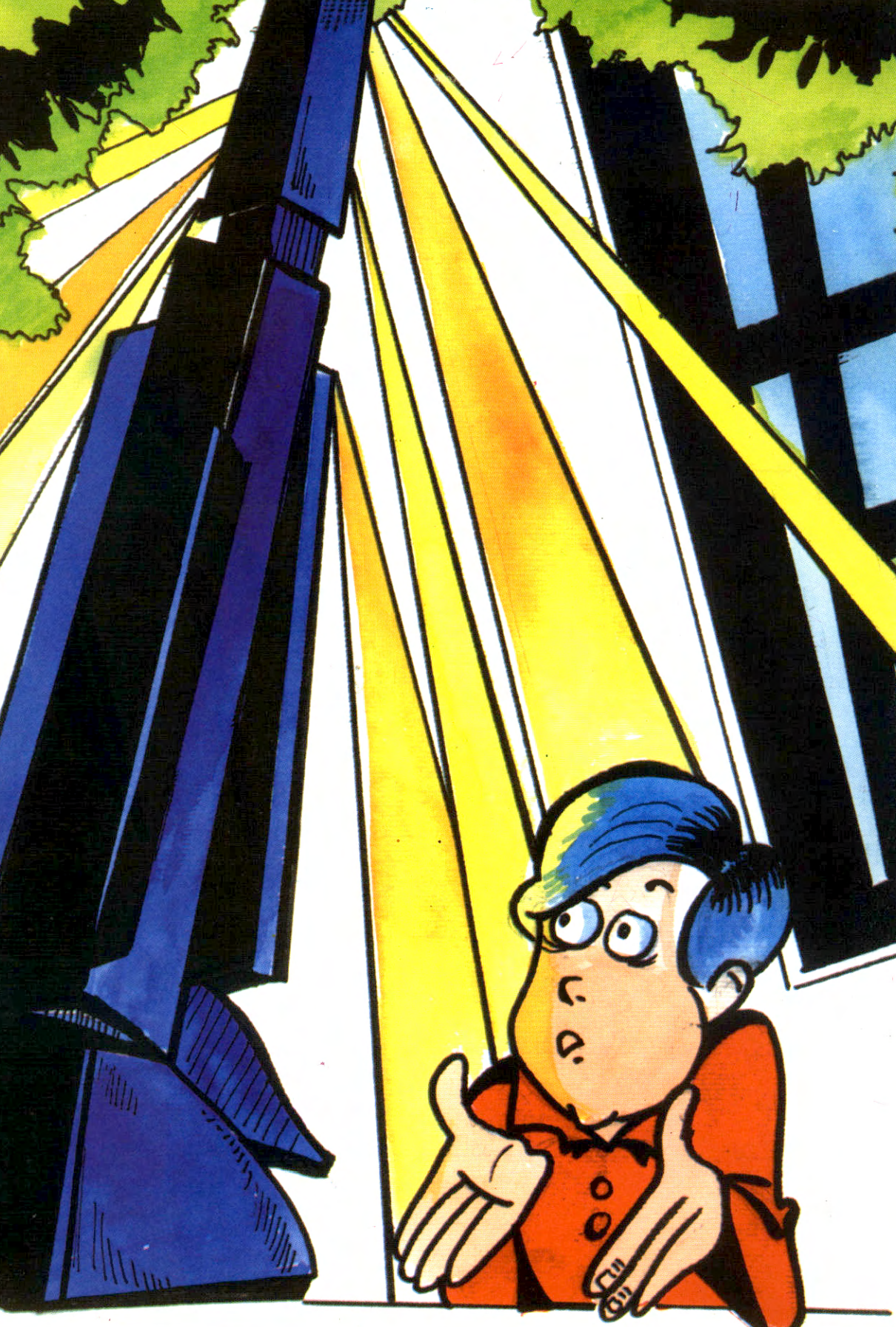

شَعَر صديقُنَا بالخوفِ الشَّديدِ أولَ الأمْرِ، ولكنَّه استعادَ رَباطَةً جأشِه وتقدمَ فى حِرْصٍ وحَذَر شديدَيْن حتى صَارَ قريبًا للغايةِ من ذلك الجهاز العجيبِ الذى فُتِح بَابُه بطريقةٍ آلية وَهبَط مَنْه شخصٌ وقورُ الهيئـةِ، وَسِيمٌ رَغْمَ تقدمِ سنِّه، واقتربَ منْ (عمادٍ) الذى راحَ يرتجِفُ من شدَّةِ الرعْبِ..

وضَع الرجلُ يدَه على كَتفِ صديقنَا وسألَهُ بصوتٍ عَميقٍ وكأنَّه صَادرٌ من أعمق أعماقِ الكونِ: لماذا ترتَجفُ يا وَلَدِى ؟

أجابَهُ (عمادٌ) بصَوتٍ مُتَلعثِم: لقد شَعَرتُ بالفَزَع مِنْ هذا الجهاز العَجيبِ و. . . .

قاطَعَه الرجُلُ بقولِهِ: إنَّها «آلةُ الزمن».

التمعَت عيْنَا (عمادٍ) ببَريق الانبهَار وهو يُردِّدُ فى سعادةٍ: «آلةُ الزمن» ؟

أوْمَأ الرجلُ برأسِه علامةَ المُوافَقَةِ دونَ أنْ ينْبسَ بِبِنْتِ شَفَةٍ فعَادَ (عمادٌ) يسْألُه: هل حَضْرتكَ. . . .؟

أجابَه الرجلُ بصوتِه العميقِ قَائِلاً: نعم يا بُنَىَّ. أنا (ألبرت أينشتين).

شَعَر (عمادٌ) بالدهشةِ العارمةِ عندما نطقَ الرجلُ بهذه العبارة وهَمَّ بأن يلْقىَ عليه عدةَ أسْئِلَةٍ ولكنَّ الرجلَ لم يُمهله بل هَتَفَ قائِلاً:

-لقد علمتُ أنَّك تبحثُ عن الخُلودِ.. أليسَ كذلك؟

أومأ (عمادٌ) برأسِه قبْلَ أنْ يقولَ: بلى يا سَيِّدى.

قَالَ الرجلُ بصوتِه العميقِ: وعلِمتُ أيضًا أنَّك تعتقِدُ أنَّ سِرَّ الخلودِ يَكْمُن فى «آلةُ الزمنِ» هذِه.

أجابَه (عمادٌ) فى لَهْفةٍ: إنَّنى مُتأكدٌ مِنْ ذلك فانْتقالِى عَبْرَ العصُور والأزمنةِ يمنَحُنِى الخلودَ.

ارتَسمَتْ على شفَتى الرجلِ ابتسامةً ساخِرة قبلَ أن يَقولَ فى خُفُوتٍ: أتعتقِدُ ذلك ؟

أوْمَأ (عمادٌ) برأسِه قائلاً فى حَماسٍ : نعم .

قال الرجل وهو يُشيرُ بيمينه إلى الجهَاز الذى يُحاكِى الصاروخَ فى هيئتِهِ: تفضلْ.. اصعَدْ إلى «آلةِ الزمنِ» واخْتَرْ ما شِئْتَ من الأزْمنةِ واذهَب إليْهِ..

صَمتَ برهةً ثم أكملَ فى لهجةٍ ساخرةٍ: ربَّما عَثَرت على سرِّ الخلودِ.

قَالَ هَذِه العبارةَ ثم تلاَشى فى بطءٍ واختَفَى عن الأنظار تمامًا، وشَعَر (عمادٌ) بالرعْبِ يزلزِلُ كيَانَه وأخذَ يُنادِى بأعْلَى صوتِه على الرجَّل ولكنَّه لَمْ يلقَ جوابًا. . .

أخَذَ يتلفَّتُ حولَه، ووقعَتْ عينَاه على «آلةِ الزمنِ» وتذكرَّ كلماتِ الرجلِ..

اصعدْ إلى «آلةِ الزمنِ»، واخْتَرْ ما شِئْتَ من الأزمنةِ واذهبْ إليه..

وعلى الفور صَعَد (عمادٌ) إلى الآلةِ، وتَضاعفَ انْبهارُه بما رآهُ فى الداخل. . . عَدَدٌ ضخمٌ من الشاشاتِ المُتَراصَّةِ فوقَ الجدرانِ، ومجموعَةٌ كبيرةٌ من الأزرار المُلَوَّنَةِ ووسائلِ الإيضَاح، وبعض الخرائطِ، وأجهزةِ «الكمبيوتر» المتطورةِ، وبعض الساعاتِ الزمنيةِ مِنْ مختلفِ الأشكَالِ والأنواعِ..

وفى حِرْصٍ وحذر شديدَيْنِ ضَغَط (عمادٌ) بسبَّابَتِهِ على أحدِ هذه الأزرار فارتَسمَتْ على إحدى الشاشاتِ التى أمَامَه عبارةٌ (العصرُ الفرعُونى)..

ونبضَ قلبُه بعنْفٍ عندَمَا شَعَر بالآلةِ تتَحركُ وبابُها الإليكترونى ينغَلِقُ عليه «أوتوماتيكيا» وأدْركَ أنَّه ذَاهِبٌ إلى هُناكَ.. إلى زمنٍ مضَى.. إلى عصرِ العمَالقةِ: العصْر الفرعونىِّ. . .

* * *

فُتِح بابُ «آلةُ الزمن » «أوتوماتيكيًا»، وأطَلَّ (عمادٌ) برأسِه قبلَ أنْ يهبطَ منها، ويتقدمُ فى خُطواتٍ مرتَجفَةٍ وهو يْنظرُ حَولَه فى انبهَار ودَهشةٍ لا مثيلَ لهما، فقد كانتْ المنطِقةُ مليئةً بالمعَابدِ والمسلاَّتِ الفرعونيَّةِ، والأهرامَاتِ مِنْ مختلَفِ الأشكَالِ والأحجَامِ.

وردَّدَ (عمادٌ) فى خُفوت وكأنَّه يحَادثُ نفْسَه قائِلاً:

– يا إلهى . . . إنَّنِى فى العصْرِ الفرعُونىِّ بحقٍّ.

وقبلَ أن يُنْهِىَ عبارتَه اقتربتْ مِنْه عربةٌ فِرعُونيةٌ يَجُرُّها جوادٌ قَوىٌّ ويَركبُها أحدُ قادةِ المصريين القدماءِ. .

وَقَفَ القائدُ بعَربتهِ أمامَ (عمادٍ) وسألَه فى لَهجَةٍ جَادةٍ وهَو يُشيرُ إليه بالصَّوْلجَانِ الذى فى يدهِ: مَنْ أنْتَ ؟ ومِنْ أيْنَ أتيْتَ ؟

أجَابَه (عمادٌ) فى خوفٍ: اسمى (عمادٌ) مصرىٌّ صميمٌ، جئتُ من المستقبلِ لِكَىْ. . .

قَاطعَهُ الفرعونىُّ فى لهجَةٍ سَاخرةٍ قائلاً: المستقبلِ ؟ مَا هذِه الخُزَعْبلاَتُ؟

قَالَ هذه العبارةَ ثم أطْلَقَ نَفيرَه فتجمَّعَ عَلى أثر الصَّوْتِ مجْمُوعةٌ ضخْمَةٌ مِنْ رجالِ الجيشِ الفرعونىِّ وأشارَ إلى (عمادٍ) هاتفًا بلَهْجةٍ آمِرةٍ:

اقبضُوا على هذا الخَائِنِ فورًا؟

شَعَر (عمادٌ) بارتعادَةٍ تَسْرى فى بدنِه عندمَا أحاطَ به الجنودُ شاهرينَ أسلحتَهُم فى وجْهه، ولكنه لم يَسْتَسْلمْ بل انْطلَقَ كالقَذِيفَةِ واسَتطاعَ أنْ يفلِتَ مِنَ الدائرةِ المُحيطَةِ بهِ، وأخذَ يركُضُ بَعيدًا عنهُم، ولكنَّ القائدَ الفرعونىَّ أشارَ إليه وهتفَ فى حمَاسٍ قائلاً:

– أحْضِرُوه فورًا.

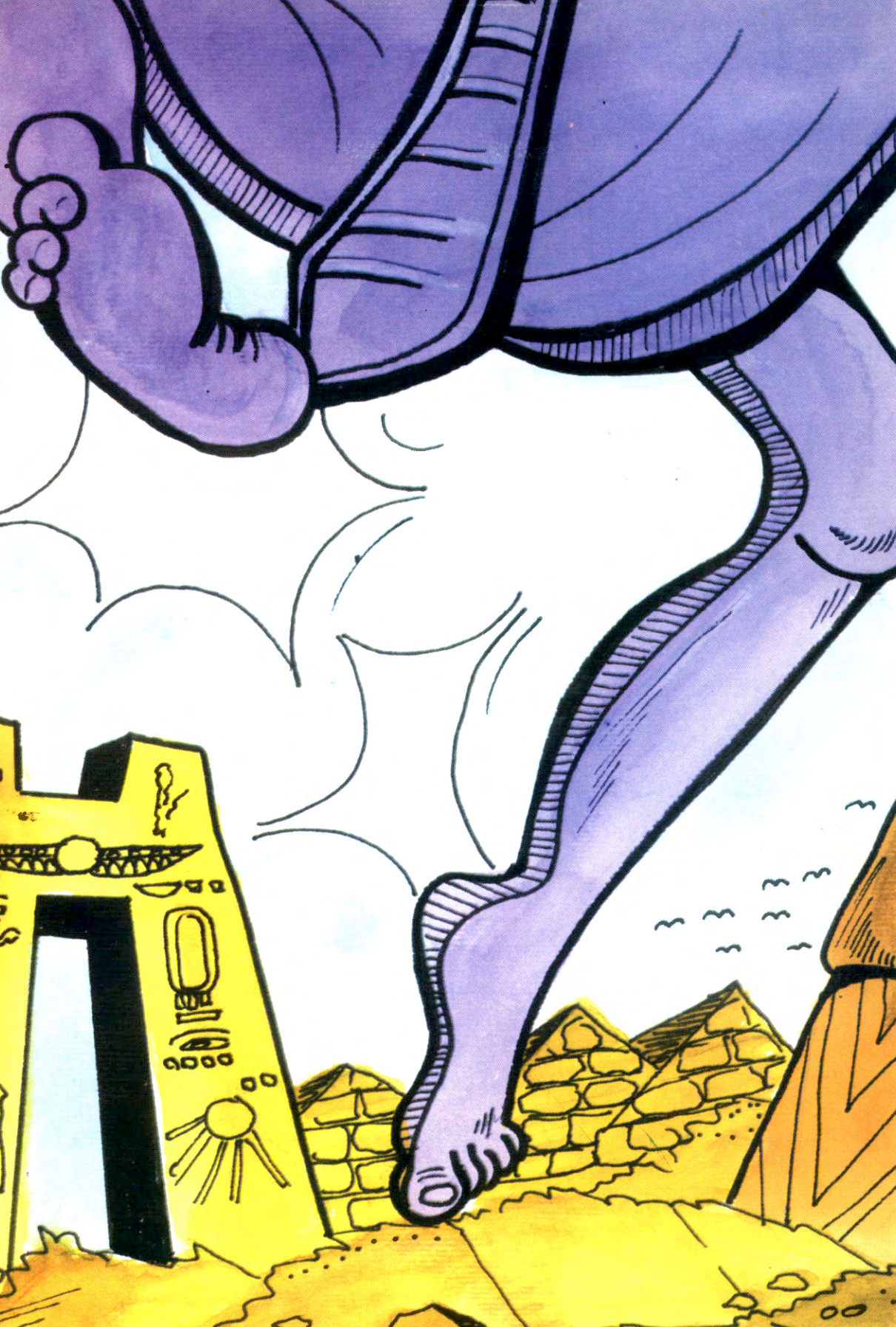

وفى لَمْحِ البَصر انطلـقَ فـى أثـرِه مجموعـةٌ مـن رجـالِ الجيـشِ الفرعونـىِّ بجِيَادِهم. . .

شعَر (عمادٌ) بالخوفِ الشديدِ فهوَ ليسَ معه جوادٌ لِيفِرَّ به من بطْشِ جنُـودِ القائدِ الفرعونىِّ، وفَجْأةً لَمَحَ (عمـادٌ) فَتـى فرعونيًّـا يركـبُ جـواده وينطلِـقُ بـه نحوه، وما أنْ صارَ قابَ قوسَيْن أو أدْنى مِنْه، حتى انحنَى من فوْقِ ظهْرِ جَوَادِه والتقطَ (عمادًا) الذى شَعَر بارتِجافَةٍ تَسْرى فى جَسدِه، ولكنَّ الفتىَ طمْأنَـهُ وهـو يَربتُ على كتفِه قَائِلاً فى خُفُوتٍ: لا تخفْ سَوْفَ أنقِذُك مِنْ أيْديهم.

شَعَر (عمادٌ) ببعْضِ الطُّمأنِينةِ فالْتفتَ إلى الفَتَى الفرعُونىِّ وسألَهُ: مَنْ أنت؟

أجابَه الفَتَى بقولِه: اسمى (توت) ابنُ الحاكم الفرعونِىِّ. . . ؟!

عادَتْ الرجفةُ تسْرى فى بدنِ (عمادٍ) مرةً أخْرى وهـو يسْـألُه فـى رُعْـبٍ: وإلى أيْنَ نَحْنُ ذاهِبَان؟

أجابَهُ الفَتى: إلى قصْرِ والدِى.

سأله (عمادٌ) فى فَزَعٍ: لماذا ؟

أجابَهُ الفَتَى بقولِهِ: لأنِّى أميلُ إلى تصْدِيقِ قصتِك رَغْمَ غَرَابَتِها. . . أصَـدِّقُ أنَّكَ أتَيْتَ مِنَ المستقبل.

* * *

وقـفَ (عمـادٌ) أمـامَ الحَـاكِمِ الفرعونـىِّ فـى قصْـرِهِ المللـىءِ بالتمـاثيلِ و«الديكوراتِ» الذهبيةِ وجُدْرانِه المُزينةِ بالجواهِرِ والأحْجَـارِ الكريمَـةِ. . . أخَـذَ (عمادٌ) يتأمَّلُ فى انْبهار كلَّ مَا حوْلَـهُ قَبـلَ أنْ يَفيـقَ مِـنْ شُـرُودِه علـى صـوتِ الحاكِمِ الفرعونىِّ وهو يُشيرُ إليه قائلاً: إذَا لمْ تعترفْ أيُّهَا الجاسـوسُ سـيُمزِّقكَ رجَالِى إرَبًا. . إربًا قالَ هذِه العبارةَ ثم استطردَ متسائِلاً: مَنْ هُـمْ الأعـداءُ الذيـنَ أرْسلُوكَ إلى هُنَا ؟

أجابَهُ (عمادٌ) بقولِه: صدقْنِي يا سيدِى، أنا مِصْرِىٌّ وجئْتُ مِنَ الزَّمنِ المستقبل.

قَطَّب الحاكمُ الفرعونِىُّ حاجِبَيْهِ فى شكٍّ قبلَ أنْ يسألَه: وإذا صَدَّقتُ قصتَك رَغْمَ غَرابتها.. هل تَستطيعُ أن تُخبرَنِى لماذا جئتَ إلى زمانِنَا ؟

وقفَ «توتٌ» فى نهايةِ القاعةِ ينتظرُ ما سيقولُه (عمادٌ) الذى هَتَفَ قائلاً: لقد جئتُ بحثًا عن الخلودِ.

رفعَ الحاكمُ حاجِبَيْه فى دهشةٍ مُردِّدًا: الخلودُ؟

أوْمَأ (عمادٌ) برأسِهِ دُونَ أنْ يُنبسَ ببِنْتِ شَفةٍ فعادَ الحاكمُ يقولُ: كلُّنا نعلمُ أنَّ الروحَ خالدةٌ لا تَنْتَهِى بنهَايةِ الجسدِ.

قالَ (عمادٌ): ولكنِّى أقصدُ خُلودَ الروحِ والجسدِ معًا.

هتفَ الحاكمُ فى استِنْكارٍ قَائِلاً: يمكنُ للإنسانِ أن ينْعمَ بالخلُودِ يا فتى، ولكنْ ليسَ بجسدِه وإنَّمَا بأعمالِه.

عَقَدَ (عمادٌ) حاجِبَيْه متسائلاً: كيف ذلك؟

أجابَه الحاكمُ بقولِه: انظرْ إلى ما خَلَّفْنَاه - نحن الفراعنةَ - من آثارٍ شَامخةٍ كالمسلاتِ والمعابدِ والأهراماتِ وغيرها. . . انظرْ إلى تَقدُّمِنا فى العلومِ والفنون وكَافةِ المجَالاتِ، فى الرسمِ والنحتِ والتحنيط والطبِ والفلكِ والهندسةِ والمعمار والبناءِ. . .

قالَ هذه العبارةَ وصَمتَ بُرهةً ثم عادَ يقولُ وَسَطَ اهتمامِ (عمادٍ): هل سمِعتَ عن الملكِ «خوفو» والملك «خفرع» والملك «منقرع» بُنَاةِ الأهراماتِ الثلاثةِ الشهيرةِ؟ هل سمعتَ عن «أحمس» قاهر «الهكسوس»؟ هل تعرفُ « إخناتون» الذى نَادَى بالتوحيد؟ هل تعلمُ شيئًا عن الملكِ «رمسيس الثانى» وإنجازاتِهِ المبهرةِ؟ هل سمعتَ عن الملكِ «مينا» مُوَحِّدِ القطَرَيْن ؟ والملكة «حتشبسوت» و«كليوباترة» و«نفرتيتى»؟ هل تعرف «أمنحوتب» وعصرَه الذهبىَّ؟

أوْمَأ (عمادٌ) برأسِه علامةَ الإيجابِ قبلَ أنْ يَقولَ فى ثِقةٍ:

– نعم . . أعرفُ كلَّ هؤلاءِ فلقد حكىَ عنهم التاريخُ، حكى عنْ بطولاتِهم وعظمَتهم، وعبقريتِهم، وعن إنجازاتِهم الرائعةِ. . .

قالَ الحاكمُ فى حماس: وهذا ما جَعَلَهُم ينعمون بالخلُودِ. . . لقد ظلَّتْ أعمالُهم خالدةً ولذا نَتذكَّرهُمْ دائمًا بكلِّ فخر. . . صدقنى يا بُنَىَّ. . الإنسانُ يظلُّ خالدًا بأعمالِه لا بجسدِه.

أجابَه (عمادٌ) بقولهِ: معك حَقٌّ يا سيدى الحاكمُ . . .

قال هذه العبارةَ ثم أردَفَ يقولُ: هل تسمحُ لى بالانصرافِ ؟

عَقَد الحاكمُ ذِراعَيْهِ أمامَه قبلَ أنْ يقولَ فى لَهجةٍ جادةٍ:

– لولا نبرةُ الصدقِ فى حديثِكَ وملامحِكَ المصريةِ الأصيلةِ وملابسِكَ الغريبة التى تُؤكد قُدومَك من زمنٍ مستقبلٍ لما تركتُكَ تُغَادرُ هذا المكانَ حيًّا ولكنْ يمكنُك الانصراف.

تهلَّلَتْ أساريرُ (عِمادٍ) وَحَيَّا الحاكمَ فى أدب جمٍّ ثم صافحَ (توت) فى وُدّ بالغٍ قبلَ أنْ يتجِه فى خطواتٍ واسعةٍ نحو «آلةِ الزمنِ» ويستَقلُّها ويضغطَ بعضَ أزرَارها و . . .

وفجأةً لمحَ على الشاشةِ التى أمامَه عبارةً تُؤكدُ أنَّه الآن فى عام ١٩١٩ وتوَّقفتْ به الآلةُ عند هَذَا الزمنِ ...!!

* * *

هبطَ (عمادٌ) من الآلةِ، وشَعَر بالفزعِ الشديدِ عندما رأى الشعبَ ثائرًا ضدَّ الاحتلال البريطانىِّ، وكان جيشُ بريطانيا ثائرًا وأخَذَ جنودُه يطلقونَ أعيرتَهم الناريةَ...

وابتعدَ (عمادٌ) فى سرعةٍ خشيةَ أن يُصيبَه طلقٌ نارىٌّ فيُردِيه قتيلاً، وأثناءَ ابتعادِه جذبَه شخصٌ مفتولُ العضلاتِ فى أحد الممراتِ الجانبيةِ بعيدًا

عن رجال الثورة وسألهُ فى لهجةٍ جـادةٍ: مَنْ أنـتَ؟ ولـماذا تسيرُ وحـدك فـى هذه المظاهراتِ ؟

أجابَهُ (عمادٌ) بقوله: اسمى عمادٌ. . . وكنتُ أبحثُ عن سرِّ الخلودِ؟

رَدَّدَ الشابُّ فى خُفُوتٍ: سرِّ الخلودِ؟

قال (عمادٌ): نعم. . . أبحثُ عن كيفَ يصبحُ الإنسانُ خالدًا ؟

أجابه الشابُّ بقوله: إننى أحدُ المشاركين فى الثورة ضـد الإنجليز، وَلِـىَ بعـضُ الزمـلاءِ الذيـن استشـهدُوا أثنـاءَ مقاومَتِـهم للاحَتـلال وأنـا أعتـبرُهم مِـنَ الخَالدِين لأن أسماءهَم حُفِرتْ بأحْرفٍ مِنْ نور فى التاريخِ وظلُّوا خـالدين رغْـمَ فناءِ أجسادِهم.

قالَ هذه العبارةَ وصمتَ برهةً ليْزدردَ لعابَه ثـم أردفَ يقُـولُ فـى حمـاس: انظرْ إلى سعد زغلول زعيم الثورة ضد الإنجلـيز. . . ثـورة ١٩١٩ سـيظلَّ اسمُـه خالدًا على مرِّ العصور ؟

أنْهىَ جملتَه وعادَ يقولُ فى حماسٍ مضَاعفٍ:

وانظرْ إلى (محمد كريم) ابن الإسكندرية وابن الشعب الذى اشـتهرَ بأمانتِـه ودفاعِه عنْ حقُوقِ مُواطنِيه ولما جاءتْ الحملة الفرنسية أصبح بفضلَ نضالِـه فـى الدفاع عن الإسكندرية واشتراكه فى المقاومةِ السرِّيَّةِ بطلاً خالدًا.

أومأ (عمادٌ) برأسِـه دون أن ينبـسَ ببنْـتِ شَـفَةٍ فاستَطردَ الشـابُّ الثـورىُّ يقولُ: وانظرْ إلى (عمر مكرم) ذلك الزعيم السياسىِّ الذى نادى بأن يكونَ لشعب مصر رأيًا فيمَنْ يُولَّى علَيْهم ونَتِيجَةً لذلِكَ اتَّخَذَ الشـعْبُ قَـرَارَه لأوَّل مـرةٍ بتَـولىِّ الضابط الألبانِىِّ (محمد على) حكـمَ مصـرَ، وكذلـك (علـى مبـارك) الـذى رسـمَ الطريقَ للمدارسِ الحديثَةِ وأنشأ «دارَ الكتبِ» ومجلـة «روضـة المـدارس » وتـركَ مؤلفاتِ كثيرةٍ جعلتْهُ يتربَّعُ على عرش العظماءِ والخالدين.

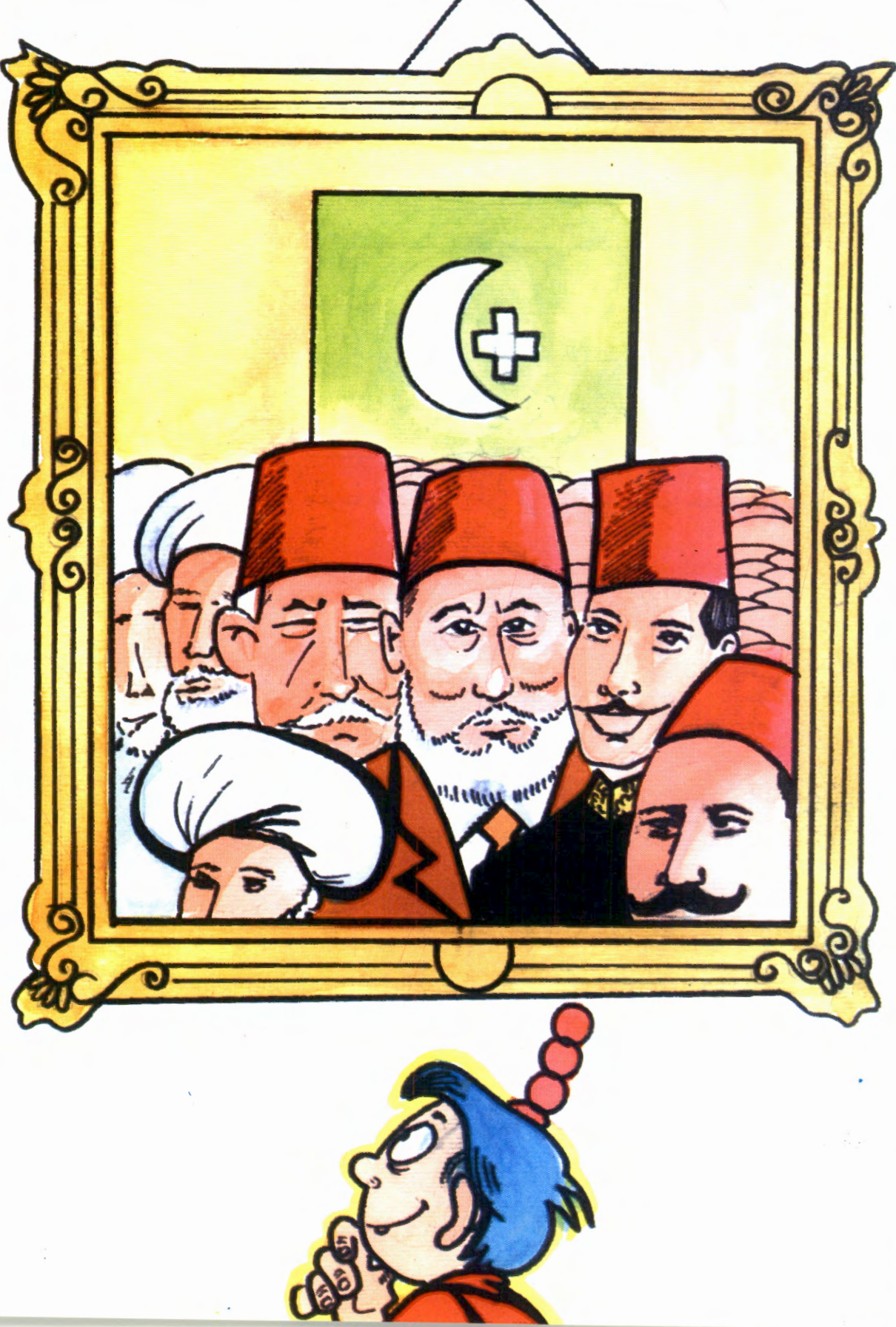

قال هذه العبارةَ ثم أردفَ يقولُ فى حماسٍ مشتَعِلٍ :

– ولا تَنْس (أحمد عرابى) ذلك الفلاحَ الثائرَ الذى قالَ للخديوى (لسنا عبيد أحدٍ) والذى وقفَ الشعبُ كلَّه خلفَه يدافعُ عن أرض مصَر بإصْرار، وكذلك (مصطفى كامل) الذى ناضلَ وجاهدَ وبذلَ روحَه دفاعًا عن أرض مصرَ، وأيضًا (محمد فريد) الذى أكمل المسيرةَ واستحقَّ أن يظل اسمه خالدًا على مرِّ العصور.

هم (عمادٌ) بأن يقولَ شيئًا ولكنَّ الشابَّ أكملَ حديثَه بقوله: ولا تنسَ أيضًا علماءنا العربَ الذين أثروْا حياتنا بالعَديدِ من الابتكاراتِ والاختراعاتِ العلميةِ أمثالَ «ابن سينا»، و«ابن رشد»، و«الإدريسى»، و«الخوارزمى»، و«البيرونى»، و«ابن فرناس» وغيرَهم. . . هؤلاء أيضًا يستحقُّون لقب الخلودِ.

وقبلَ أن يفتح فمه بأَيَّةِ كلمة سَمِعَ صوتَ طلقاتٍ ناريةٍ، وتعالتْ صيحاتُ الثوار تقولُ فى حماس مشتَعلٍ ووطنيةٍ بالغةٍ:

– يحيا الهلالُ مع الصَّليبِ. . يَحْيَا الهلالُ معَ الصَّليبِ . .

وتضاعفتْ طلقاتُ النيرانِ ولكنَّها لم تُخرسْ صوتَ الحقِّ فظلَّ الهتافُ مُدوِّيًا. .

وفجأةً لمحَ (عمادٌ) جنديا من جنودِ الاحتلال يصوِّبُ سلاحَه نحو الشابِّ الثوريِّ الذى كان يحدثُه، وعلى الفور دفعَه (عمادٌ) بعيدًا عن مصْدَر الطلقَةِ فأخطاتْه ونجا الشابُّ بعمره. . فابْتَعدَ واختَفَى خلفَ أعمدةِ الإنارةِ وهو يحدثُ عمادًا بقوله:

– أشكرُك يا صديقى على إنقاذِكَ حياتِى.

هَمَّ (عمادٌ) بأن يقولَ شيئًا ولكنُّه فوجئ بجنودِ الاحتلال يقتربُون منه شاهِرينَ أسلَحَتهم فِى وجْهِهِ، وعلى الفَور أسرَع الخُطَى نحو «آلةِ الزمنِ» والهتافُ يُدوِّى فى أذنَيْه. . .

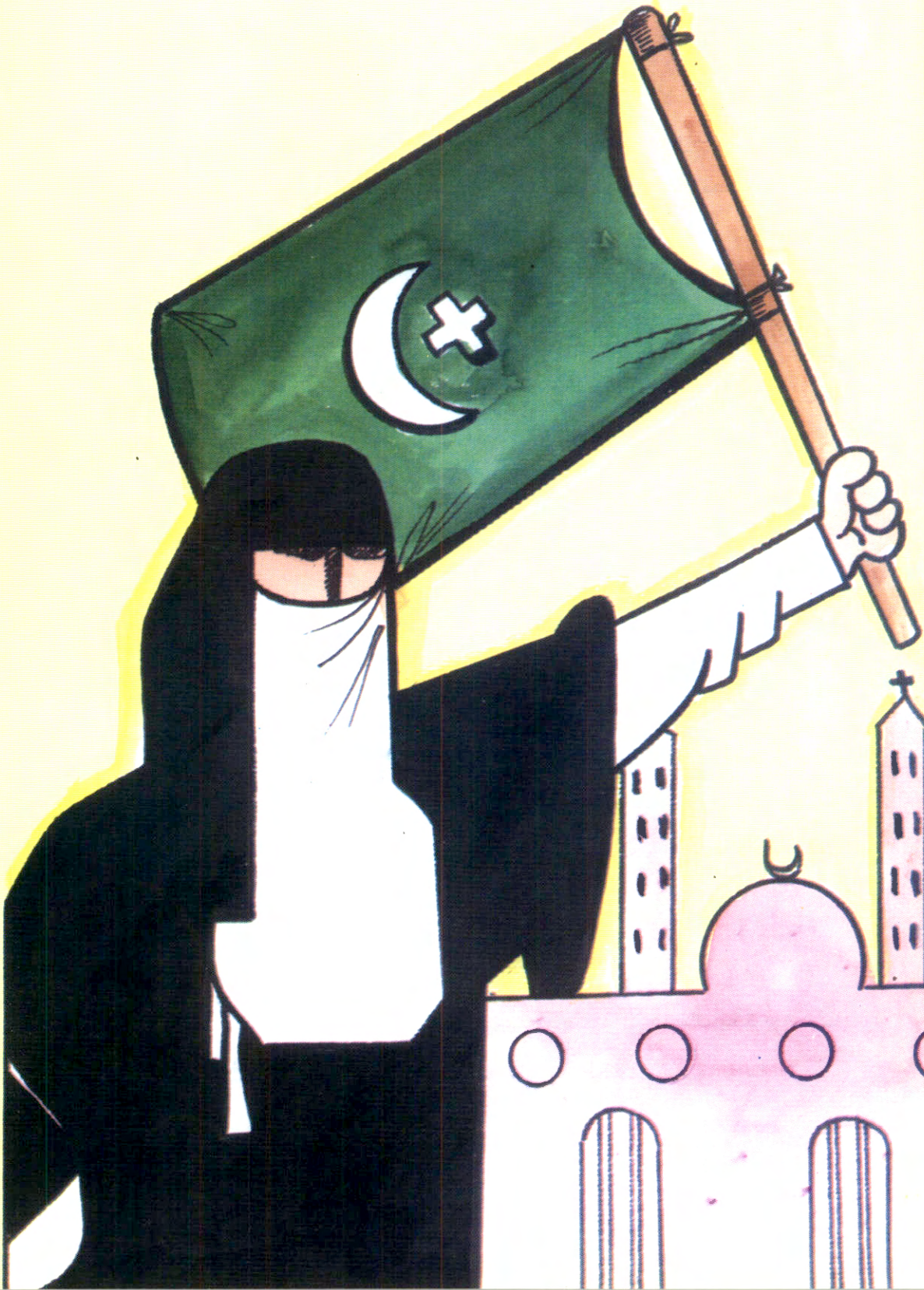

– يحيا الهلالُ مع الصليبِ . . يحيا الهلالُ مع الصليبِ.

وركبَ الآلةَ وانغلقَ بَابُها «الإليكترونى» تلقائيًا وسَمعَ صوتَ طلقاتِ النيرانِ خارجَ الآلةِ..

كان الصوتُ قويا حتى شَعَر (عمادٌ) أن الآلة أصابَها بعضٌ مِنْ هَذِهِ الطلقاتِ. . . وضَغطَ الأزرارَ التى أمَامهُ فى سُرْعَةٍ، وتحركتْ الآلةُ لكنَّه لم يرَ على الشاشةِ أىَّ جهةٍ أو زمن أو تاريخٍ . .

وأدركَ (عمادٌ) على الفور أنَّ الآلةَ أصابَها خَللٌ مَّا بسببِ الطلقاتِ الناريَّةِ التى أصابَتْها. . وشَعَر (عمادٌ) أنه أصبحَ مفقودًا إلى الأبد. . مفقودًا فى الزمنِ.

وفجأةً أفاقَ (عماد) من شرُودِه على صوتِ والدِه يقولُ: ماذَا بك يا عمادُ؟

تنبهِ (عمادٌ) إلى والدِه، ونَظرَ حولَه فوجدَ نَفسَه لايَزال يجلسُ فوق المِقْعد الوثيرِ فى حجرتهِ وبجواره الجريدةُ التى قرأ فيهَا ذلك الخبرَ المثيرَ عن سرقةِ مخ (أينشتين)، وأدرك عمادٌ أنَّ مَا رآه مِنْ «آلة الزمن» والعصر الفرعونىِّ وثورة ١٩١٩ ومطاردةِ جنودِ الاحتلال كان حلمًا مرَّ بخيالهِ أثناءَ شُرودِه. .

قَالَ الأبُ فى لهجَةٍ جَادةٍ: أمَا زلتَ تبحثُ عنْ وسيلةٍ تحيَا بها فى مئاتِ الأزمنةِ وتنعَمُ بالخلودِ ؟

حَرَّكَ (عمادٌ) رأسَه يمينًا ويسَارًا فى استنكَار قائلاً: كلاَّ يا أبى. . لقد أدركتُ جيدًا أن الخلودَ للّه تعالى وحده، وأنَّ الإنسَانَ يمكنُه أنْ يظلَّ خالدًا ولكن بأعمالِه العظيمَة وما يُقدمُه للبشريَّةِ وليسَ بجسَدِهِ.

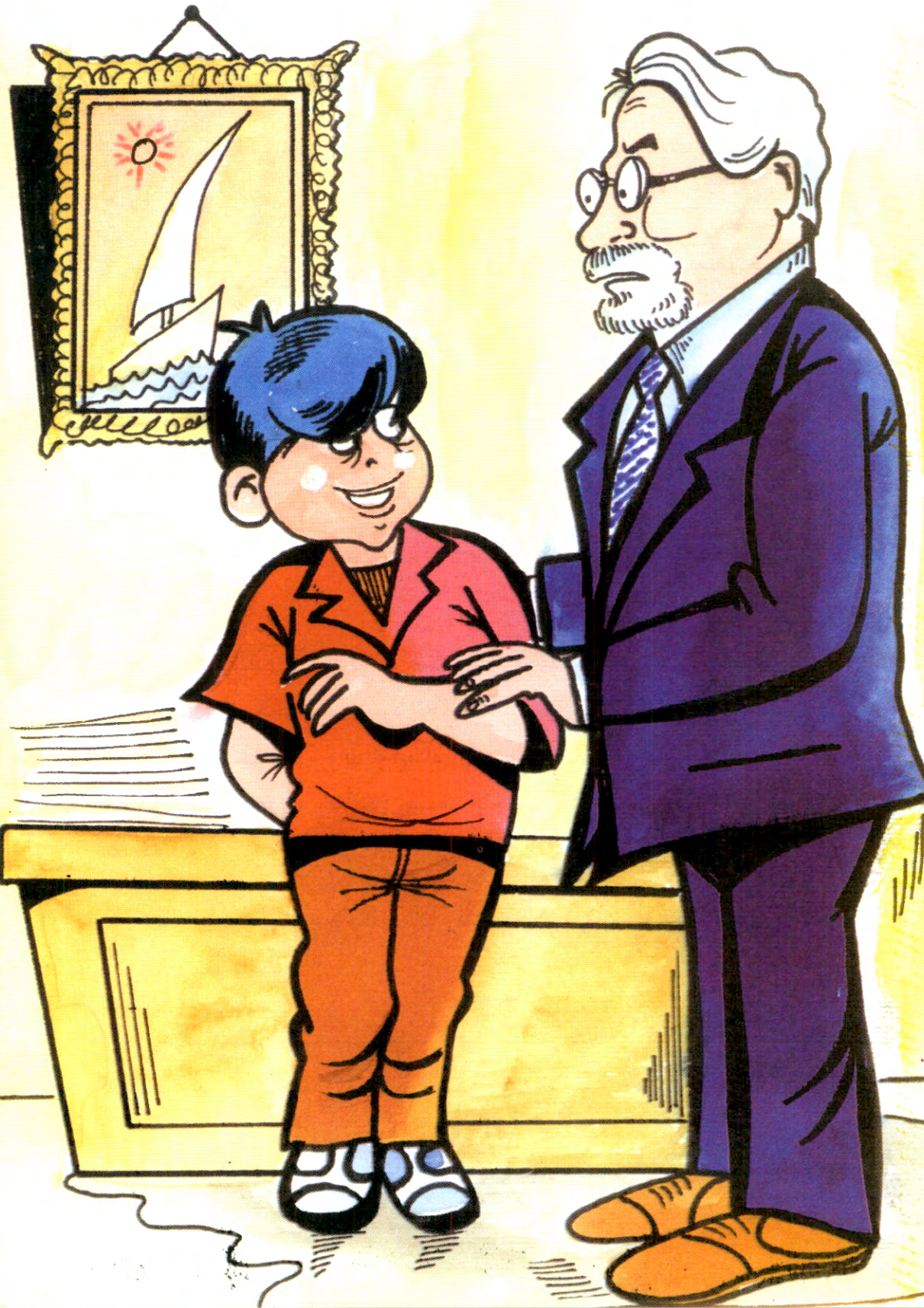

ابتسمَ الأب فى سعَادةٍ وهو فَخُورٌ بولدِه قبلَ أنْ يقولَ: إننى سعيدٌ بهذا القول يا (عمادٌ) وأتمنى أنْ تصبحَ واحدًا مِنْ هؤلاءِ الذينَ نَعمُوا بالخلودِ. . فالأعمالُ العظيمةُ تظلُّ خالدةً أبدَ الدهر.

أومأ (عمادٌ) برأسِه مُوافِقًا قبلَ أنْ يقولَ فى حمَاس: أعدكُ يا أبى أن أقدِّمَ للمجتمعِ والبشريةِ أعمَالاً عظِيمةً تجعلنى أنعمُ بالخُلودِ حتى بعدَ فناءِ جسَدِى.

ومنذُ هَذِه اللحظَةِ و (عمادٌ) يجتهدُ فى دُروسِه ويضاعِفُ من اطلاعِه وثقافَتِه لأنَّه مقتنِعٌ تمامًا أنهُ بهذِه الخطْوَةِ يبدأ الرحْلَةَ. . . رحلةَ الخلُودِ .

رقم الإيداع	٢٠٠١/٧٩٦١
الترقيم الدولى	977-02-6146-7 ISBN

٧/٢٠٠١/٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)